- نظم التصنيف .

- التصنيف العملى .

ومن الواضح أن ما يهمنا هنا هو نظرية التصنيف ونظم التصنيف ، وصولا إلى بحث مشكلة نظم التصنيف فى الوطن العربى . ولكن العرب والمسلمين كان لهم إسهام فى تاريخ التصنيف ، وقد تجاهلهم علماء التصنيف الغربيون أو جهلوهم . ولذلك ، فإنصافا لعظمة أسلافنا لابأس من كلمة سريعة عن التصنيف عند العرب والمسلمين ، بقدر ما يتسع لذلك مجال البحث ، على أمل أن يتسنى لنا بحث ذلك الموضوع بحثاً شاملا معمقاً فيما بعد ، فإن المطر إذا جاد أثرى وإن قل أغنى وما لا يدرك كله لا يترك كله .

وإننا نرجو أن نوفق فى صفحات هذا البحث إلى تناول المباحث التالية :

أولا — التصنيف عند العرب .

ثانياً — نظرية التصنيف .

ثالثاً — نظم التصنيف .

رابعاً — نظم التصنيف فى الوطن العربى .

١ — النظم العالمية الشاملة .

٢ — نظم التصنيف الخاصة ببعض المكتبات .

٣ — ديوى وتعديلاته .

٤ — النظم المتخصصة .

خامساً — خطة التصنيف العربية .

إن الإطار العام للدراسة على هذا النحو إطار واسع يشمل كل موضوع التصنيف تقريباً ، هذا فى شقه الأول فقط ، أما الشق الثانى فهو يضيف إلى ذلك نظم التصنيف فى البلاد العربية ثم خطة التصنيف العربية وهما بيت القصيد فى هذا البحث . ونظراً لهذه السعة وذلك الشمول فإننا نرجو المعذرة إذا طالت الصفحات ، وكذلك إذا جاء بعض المباحث مختصراً .

أولا -- التصنيف عند العرب :

لم يكن للعرب فى الجاهلية إلا نصيب قليل من الثقافة والحضارة . فلما أشرق الإسلام وأظل بنوره شبه الجزيرة العربية لم تمض إلا سنوات قليلة حتى كان العرب قد تبدل بهم الحال فأصبحوا أمة قوية موحدة . وقد اهتم المسلمون منذ البداية بالعلم والتعليم ، فالإسلام يحض عليهما ويرفع من قدر العلماء حتى يجعلهم ورثة الأنبياء . وهو يدعو إلى تعلم كل علم نافع مفيد ، سواء أكان علماً دينياً ينظم علاقة الإنسان بخالقه وبإخوانه من المسلمين ، أم كان علماً لغوياً لابد من تعلمه لفهم كتاب الله وسنة رسوله ، أو كان علماً دنيوياً ينفع الناس فى أمور معيشتهم كالطب والكيمياء .

لذلك فقد شهد العالم الإسلامى حركة علمية نشطة فى اتجاهين :

١ ــ العلوم الشرعية ، وهى العلوم الدينية واللغوية ، وهى العلوم العربية الأصيلة . وقد بدأت فى صدر الإسلام ، ولم تمض إلا فترة يسيرة حتى كانت هذه العلوم قد وضعت أصولها ثم بدأ تدوينها فى أوائل القرن الثانى الهجرى ، وفى نهاية ذلك القرن كان العلماء قد وضعوا كثيراً من المؤلفات فى هذه العلوم ، وساعد على ذلك نمو حرفة الوراقة .

٢ ــ العلوم الأجنبية أو الدخيلة ، وهى العلوم التى نقلها العرب من الأمم السابقة ذات الحضارات مثل الفلسفة والطب والكيمياء والفلك والرياضيات ،

إلخ . وقد بدأت فى القرن الثانى الهجرى حركة ترجمة نشيطة لهذه العلوم . وبعد أن هضم العرب هذه العلوم وتمثلوها أضافوا إليها وطوروها وبذلك أسهموا فى التيار الحضارى والعلمى العام للبشرية بنصيب وافر .

ولقد كان للعرب فضل فى ابتكار كثير من العلوم مثل علم المعاجم وعلم العروض وعلم الجبر . كما كان لهم الفضل فى ابتكار البيليوجرافيات ، وفى ظهور أنماط جديدة من الأعمال العلمية مثل قواميس المصطلحات والموسوعات . وإذا كان القرن الثانى عصر النشأة والتدوين ، فقد كان القرن الرابع عصر النضج ، وهو أيضاً العصر الذى ظهرت فيه البيليوجرافيات والموسوعات وقواميس المصطلحات وغيرها . يشهد على ذلك بيليوجرافية ابن النديم ، و« مفاتيح العلوم » للخوارزمى ، و« رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا » . وهى كلها حلقات جديدة فى بابها تلتها حلقات أخرى كل منها فى مجاله ، وتطور كل من هذه المجالات فيما بعد تطوراً كبيراً .

إن التصنيف صورة للحياة العقلية عند الأمة ، إذ هو يتناول التنظيم المقنن للمعرفة ، فإذا كانت المعرفة عند أمة من الأمم مزدهرة نامية ، فسوف ينعكس ذلك على مرآة التصنيف ، فالتصنيف جزء من الحياة العقلية للأمة وتابع لها .

لذلك لا نعجب إذا رأينا القرن الرابع الهجرى يشهد أيضاً نشأة نوع جديد من المؤلفات : هى الكتب التى تتناول موضوعات العلوم . وأول كتاب من هذا النوع هو كتاب « إحصاء العلوم » للفارابى . ولا يتسع المجال هنا لمناقشة غرض الفارابى من تأليف كتابه ، وهل كان قصده أن يؤلف كتاباً فى

تصنيف العلوم أولا ، فقد سبق لنا ذلك فى مكان آخر [1] . وخلاصة القول هنا أن عمل الفارابى عمل تصنيفى سواء أقصد إلى ذلك أم لم يقصد . وقد تكلم الفارابى فى إحصاء العلوم عن العلوم الموجودة فى عصره وفروعها وأجزائها وبين علاقاتها . وبدأ الفارابى بذلك سلسلة من الأعمال التى سماها المستشرقون « موسوعية » ونفضل نحن أن نطلق عليها تسمية مقتبسة من « مفتاح السعادة ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم » ، وهى « موضوعات العلوم » وهى تسمية نرى أنها تعبر تعبيراً دقيقاً عن هذا النوع من المؤلفات .

بدأت هذه السلسلة بإحصاء العلوم وبلغت ذروتها فى مفتاح السعادة ، على تفاوت فى ذلك وتطور . فالفارابى اقتصر على موضوعات العلوم دون تفصيل شديد ، بحيث جاء كتابه فى مجلد صغير . فإذا وصلنا إلى مفتاح السعادة نجده يشغل ثلاثة مجلدات كبيرة ، ونجده فصل تفصيلا شديداً بحيث بلغت العلوم عنده ثلاثمائة ، ونجده لم يقتصر على موضوعات العلوم وإنما جمع ببليوجرافية مختارة هى عبارة عن أهم المؤلفات فى كل علم مرتبة على حسب أهميتها ، أو على حسب تسلسلها ، كما أضاف إلى ذلك تراجم للمؤلفين ونوادر وحكايات ، وما يمكن أن يعد تاريخاً تطورياً لهذه العلوم منذ نشأتها حتى عصره .

وما بين الفارابى ومفتاح السعادة تتابعت المؤلفات التى يمكن أن نجد فيها نمطاً أو آخر من التصنيف . وليس قصدنا فى هذه العجالة أن نستقصى دراسة موضوع « التصنيف عند العرب » كل ماقصدناه أن نعطى كلمة

---

(١) طاش كبرى زاده ، أحمد بن مصطفى : مفتاح السعادة ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم ، تحقيق كامل كامل بكرى وعبد الوهاب أبو النور . القاهرة ، دار الكتب الحديثة ١٩٦٨ . المقدمة . ج ١ ، ص ص ٥٠ — ٥٤ .

سريعة ، إذ أن هذا الموضوع جدير بدراسة أعمق وأشمل . ونرجو أن نوفق لذلك فى عمل آخر إن شاء الله[1] .

ظهرت ملامح التصنيف عند العرب فى عدة أنواع من المؤلفات ، وسوف نسجل الآن عدداً من هذه المؤلفات ، ثم نتكلم عن أهم ملامح التصنيف عند العرب ، ويلاحظ أن ترتيب هذه الكتب يعنى بقدر الإمكان

١ ــ إحصاء العلوم للفارابى ــ ألف قبل عام ٣٣٩ هـ (تاريخ وفاة الفارابى).

٢ ــ جوامع العلوم ــ ينسب إلى ابن فرجون الأندلسى ، وإن كانت النسبة محل جدل حتى الآن[2] ، ونحن نسجله هنا لابن فرجون حتى يبت فى أمر هذه النسبة ــ أى فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى .

٣ ــ رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا ــ فى منتصف القرن الرابع .

٤ ــ مفاتيح العلوم للخوارزمى ــ ألف بين سنتى ٣٦٥ و ٣٨١ هـ .

٥ ــ الفهرست لابن النديم ــ ألف عام ٣٧٧ هـ .

٦ ــ أقسام العلوم العقلية لابن سينا ــ ت عام ٤٢٨ هـ .

٧ ــ الشفاء له أيضاً .

٨ ــ كتاب طبقات العلوم للأبيوردى ــ ت عام ٥٠٧ هـ .

٩ ــ الأمالى من كل فن للزمخشرى ــ ت عام ٥٣٨ هـ .

١٠ ــ حدائق الأنوار وحقائق الأسرار للفخر الرازى ــ ت عام ٦٠٦ هـ .

---

(١) لمناقشة أوسع ، انظر : المصدر السابق ــ ص ص ٤٣ ــ ٧٦ .

(٢) روزنتال ، فرانز : علم التاريخ عند المسلمين ، ترجمة صالح أحمد العلى . بغداد ، مكتبة المثنى ، ١٩٦٣ . ص ص ٥٢ ــ ٥٤ .

١١ ــ نهاية الأرب فى فنون الأدب للنويرى ــ ت عام ٧٣٣ هـ .

١٢ ــ إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد للسنجارى الأكفانى ــ ت عام ٧٤٩ هـ .

١٣ ــ الجزء الذى خصصه ابن خلدون (ت عام ٧٨٤ هـ) للعلوم وأصنافها وهو الباب السادس من المقدمة .

١٤ ــ حياة الحيوان الكبرى للدميرى ــ ت عام ٨٠٨ هـ .

١٥ ــ صبح الأعشى فى صناعة الإنشا للقلقشندى ــ ت عام ٨٢١ هـ .

١٦ ــ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار للمقريزى ــ ت عام ٨٤٥ هـ .

١٧ ــ كتاب فى موسوعات العلوم للبسطامى :

١٨ ــ المطالب الإلهية للمولى لطف الله المقتول سنة ٩٠٠ هـ .

١٩ ــ النقاية متضمنة خلاصة أربعة عشر علماً للسيوطى ــ ت عام ٩١١ هـ .

٢٠ ــ الدراية شرح النقاية للسيوطى أيضاً :

٢١ ــ أنموذج العلوم لجلال الدين الدوانى ــ ت عام ٩٢٠ هـ .

٢٢ ــ مفتاح السعادة ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم ألف عام ٩٤٨ هـ .

٢٣ ــ الفوائد الخاقانية للشروانى ــ ت عام ١٠٣٦ هـ .

٢٤ ــ فهرست العلوم لحافظ الدين العجمى ــ ت عام ١٠٥٥ هـ

٢٥ ــ كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ــ طبع عام ١٨٦٠ م .

ويمكن أن « نصنف » الكتب السابقة إلى عدة أنواع :

أولا ـ الموسوعات :

١ ـ رسائل إخوان الصفا .

٢ ـ الشفاء .

٣ ـ الأمالى من كل فن .

٤ ـ نهاية الأرب .

٥ ـ حياة الحيوان .

٦ ـ صبح الأعشى .

٧ ـ الخطط .

ثانياً ـ كتب موضوعات العلوم :

منهـا :

١ ـ إحصاء العلوم .

٢ ـ أقسام العلوم العقلية .

٣ ـ جوامع العلوم .

٤ ـ الجزء الذى كتبه ابن خلدون .

ثالثاً ـ نوع مشابه للنوع السابق ولكنه اقتصر على بعض العلوم لا كلها ، ومنه كتب : السيوطى ، والرازى ، والشروانى ، والدوانى وغيرها .

رابعاً ـ نوع يشبه النوع الثانى إلا أنه زاد إيراده لعناوين بعض الكتب تحت كل علم من العلوم ـ ومنه إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد .

خامساً ــ ينفرد ابن النديم بخاصية أن ببليوجرافيته رتبت مادتها ترتيباً موضوعياً وفق نظام لتصنيف المعرفة السائدة فى عصره

سادساً ــ قواميس المصطلحات :

١ ــ مفاتيح العلوم للخوارزمى .

٢ ــ كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى .

سابعاً ــ يقع مفتاح السعادة ومصباح السيادة فى فئة أو نوع مستقل ، فهو ببليوجرافية ، وهو كتاب فى موضوعات العلوم ، ولصاحبه تصنيف خاص للمعرفة ، كما أنه يعطى تراجم للعلماء والمؤلفين .

بدأ العرب فى التصنيف متابعين لأرسطو ، ويلاحظ أن الفارابى الذى بدأ هذه السلسلة فيلسوف يقرن بأرسطو فهو المعلم الثانى بعده . ولقد نقل المعلم الثانى فلسفة أرسطو إلى العربية وتأثر دون شك بمنهج أرسطو فى التصنيف ، ولكنه فعل ذلك فى الأجزاء الخاصة بالفلسفة والعلوم الفلسفية من كتابه . أما فيما عدا ذلك فقد أضاف الفارابى العلوم العربية فبدأ بعلوم اللسان وختم فى الفصل الخامس بالعلم المدنى وعلم الفقه وعلم الكلام . وما بينهما سجل فى الفصل الثانى والثالث على المنطق ثم علم التعاليم ، وكان يعد فرعاً من الفلسفة ثم فى الفصل الرابع العلم الطبيعى والعلم الإلهى . أى أن الفارابى قد أدخل العلوم العربية والإسلامية فى قسمين من خمسة أقسام عالجها فى كتابه .

وابتداء من الخوارزمى (محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب) صاحب مفاتيح العلوم تتضح أكثر ملامح طريقة العرب فى تقسيم العلوم . فقد قسم الخوارزمى العلوم قسمين كبيرين أو مقالين : علوم العرب أو العلوم الشرعية ، وعلوم العجم أو الدخيلة . وقد عنى بالأولى العلوم اللغوية والدينية

وهى العلوم العربية الأصيلة ، وعنى بالثانية العلوم التى نقلها العرب عن غيرهم من فرس وهنود ويونان وهى ما يمكن أن يسمى علوم الفلسفة — الفلسفة والعلوم التابعة لها من فلك وطب ورياضيات وكيمياء . . . إلخ .

وقد تأثر بهذه التفرقة وهذا التقسيم ابن خلدون فى المقدمة ووضعه فى صورة أوضح ، فقد صنف العلوم إلى صنفين كبيرين :

صنف طبيعى للإنسان يهتدى إليه بفكره .

وصنف نقلى يأخذه عمن وضعه .

والأول هو العلوم الحكمية الفلسفية وهى التى يمكن أن يقف عليها الإنسان بطبيعة فكره ، ويهتدى بمداركه البشرية إلى موضوعاتها ومسائلها وأنحاء براهينها ووجوه تعليمها .

والثانى هو العلوم النقلية الوضعية ، وهى كلها مستندة إلى الخبر عن الواضع الشرعى ولا مجال فيها للعقل إلا فى إلحاق الفروع من مسائلها بالأصول. وأصل هذه العلوم النقلية كلها هى الشرعيات من الكتاب والسنة التى هى مشروعة لنا من الله ورسوله ، وما يتعلق بذلك من العلوم ، وهذا يستتبع علوم اللسان العربى .

والعلوم الحكمية الفلسفية — أى العلوم العقلية « غير مختصة بملة بل يوجه النظر فيها إلى أهل الملل كلهم ويستوون فى مداركها ومباحثها ، وهى موجودة فى النوع الإنسانى منذ كان عمران الخليقة » .

وأما العلوم النقلية فهى « مختصة بالملة الإسلامية وأهلها ، وإن كانت كل ملة على الجملة لابد فيها من مثل ذلك ، فهى مشاركة لها فى الجنس البعيد من

حيث إنها العلوم الشرعية المنزلة من عند الله تعالى على صاحب الشريعة المبلغ لها » .

فالعلوم قسمان : قسم عام تشترك فى بحثه وفى العلم به كل الأمم ، ويضم العلوم الحقيقية وهذه لا وطن لها . وقسم خاص بكل أمة يعبر عن شخصيتها ولسانها وديانتها وتاريخها ، ولا تشترك فيه مع غيرها من الأمم . وقد أدرك العرب هذه التفرقة التى لازالت صادقة حتى يومنا هذا . وسوف نعود إلى هذه النقطة عند الحديث على خطة التصنيف العربية .

وقد بلغ التصنيف عند العرب ذروته عند صاحب مفتاح السعادة ، إذ وصل عنده إلى مرتبة العلم فجعله أحد العلوم الثلاثمائة التى عالجها فى كتابه . وقد سماه طاش كبرى زاده « علم تقاسيم العلوم » ويقول عنه :

« وهو علم باحث عن التدرج من أعم الموضوعات التى أخصها ليحصل بذلك موضوع العلوم المندرجة تحت ذلك الأعم . ولما كان أعم العلوم موضوعاً العلم الإلهى جعل تقسيم العلوم من فروعه ويمكن التدرج فيه من الأخص إلى الأعم على عكس ما ذكر ، ولكن الأول أسهل وأيسر . وموضوع هذا العلم والغاية والغرض منه ومنفعته كلها لاتخفى على أحد . وصنف ابن سينا فى هذا العلم رسالة لطيفة[1] . وهذه الرسالة التى نحن بصدد تنقيحها وتهذيبها عظيمة النفع فى هذا الباب . والله أعلم بالصواب »[2] .

فى هذه الفقرة الصغيرة لخص طاش كبرى زاده فى كلمات قليلة طريقة

---

(١) لعله يقصد أقسام العلوم العقلية لابن سينا .

(٢) مفتاح السعادة ، ج١ ، ص ٣٢٤ . والمقدمة ص ٤٣ – ٧٦ ، والصفحات الخاصة بمنهج مفتاح السعادة فى هذه المقدمة هى الصفحات ٦٤ – ٧٣ .

العرب فى التصنيف ، ويلاحظ أن المؤلف قد لخص فى كتابه هذا فيما كتبه عن العلوم المختلفة ما وجده فى التراث العربى والإسلامى وما وقف عليه فى قراءاته المختلفة . فإذا عرفنا أنه ألف كتابه فى عام ٩٤٨ هـ أى فى خاتمة عصر النضج عند المسلمين لأمكننا أن نفترض أن كتابته عن علم تقاسيم العلوم تلخص وجهة نظر علماء المسلمين فى طريقة التصنيف .

وقد أجمل المؤلف فى هذه الفقرة عدة أشياء .

١ ــ تعريف علم تقاسيم العلوم .

٢ ــ تبعية هذا العلم من حيث الرتبة والنسبة .

٣ ــ طرق التصنيف أو التقسيم .

٤ ــ المؤلفات فيه .

ويلاحظ أن تعريف التصنيف هنا لا يعنى التصنيف بصفة عامة ، أى التصنيف كعملية عقلية ولكنه يعنى تصنيف العلوم والموضوعات بصفة خاصة . وسوف نجد أن هذا التعريف ، أو بمعنى أصح طريقة التصنيف التى ينطوى عليها التعريف لازالت صادقة على خطط التصنيف الحديثة .

أما عن تبعية التصنيف للعلم الإلهى ، فهى توضح أموراً منها :

١ ــ أنها تتسق مع التعريف الذى وضعه المؤلف لعلم تقاسيم العلوم ، إذ هو علم باحث عن التدرج من أعم الموضوعات إلى أخصها . والعلم الإلهى هو أعم العلوم موضوعاً لذلك جعله من فروع العلم الإلهى .

٢ ــ إن هذه التبعية تعكس الأصل الفلسفى للتصنيف ، فقد نشأ مرتبطاً

بالفلسفة . لذلك جعله هنا فرعاً من العلم الإلهى ، وهو عنده الشعبة الأولى فى العلوم الحكمية أى الفلسفة .

٣ ــ هذه التبعية وهذا الترتيب لأقسام خطته يعكسان تأثر العلماء والفلاسفة العرب بالتقسيم اليونانى للمعرفة وترتيبهم للعلوم بحيث تأتى الفلسفة فى البداية . أى أن العلماء العرب لم يكونوا قد تحرروا من النظرة الفلسفية إلى العلوم والمأخوذة عن اليونان . ولكن من جهة أخرى سوف نلاحظ أن الفلسفة تحتل فى خطط التصنيف الحديثة مثل ديوى أو الكونجرس أو الكولون مكاناً متقدماً فى ترتيب العلوم ، وذلك لأنها أكثر العلوم تجريداً أى أعمها ، ولذلك تأتى دائماً فى البداية .

وهذا الترتيب على أى حال لا يعكس النظرة الإسلامية إلى ترتيب العلوم سواء من جهة شرفها أو من جهة ترتيب تحصيلها . فلاشك أن أشرف العلوم عند المسلمين هو ولاشك علم الدين وما يتبعه من علوم اللسان . أى أن ترتيب الأقسام فى خطة التصنيف العربية يجب أن يكون بحيث يأتى الدين الإسلامى فى البداية يتبعه علوم اللغة التى هى وسيلة إلى فهم الدين .

وهذه النظرة يؤيدها المنهج الإسلامى فى التربية والتحصيل ، فقد كان الدارس يبدأ درسه للعلوم المختلفة بعلوم اللغة وعلوم الدين . بل لقد كان هذا هو السبب فى نشأة نوع جديد من المؤلفات أيضاً هو كتب « مبادئ العلوم » ، وهى مشابهة لكتب موضوعات العلوم فيما عدا أنها تقتصر على علوم اللغة وعلوم الدين فقط ، وأضاف إليها المتأخرون من أمثال السيوطى بعض العلوم الدنيوية ذات الشرف مثل علم الطب .

إن فى هذه الكتب كتب « موضوعات العلوم » و « مبادئ العلوم »

سوف نجد معلومات وغيرة عن منهج العرب فى التصنيف ، وهى تحتاج إلى دراسة متأنية . وسواء أكانت هذه الكتب قديمة مثل بعض الكتب التى سجلناها منذ قليل ، أم كانت حديثة تنحو منحى القديمة ، مثل العدد الوافر من الرسائل التى ألفها علماء الأزهر الشريف ، والتى يضمها فهرس المكتبة الأزهرية ، سواء أكان هذا أم ذاك ، فهذه الكتب تحتاج إلى من يفتش بين سطورها لكى يخرج بدراسة رصينة عن التصنيف عند العرب ، إذ أن معظم الدراسات التى تناولت الموضوع ، قد اقتصرت على « عرض التصانيف » لا « دراسة منهج العرب فى التصنيف » . هذا المنهج موجود فى الكتب التى أشرت إليها الآن ، وفى كتب المنطق وعلم الكلام الإسلامى ، وهى تحتاج إلى من يفتش عنها ويدرسها الدراسة المنهجية اللائقة .

ونعود الآن إلى طاش كبرى زاده وملاحظاتنا عليه . لقد أشرنا إلى أن المؤلف قد رفع التصنيف إلى مرتبة العلم . وهذا يوضح مكانته فى التربية الإسلامية . ويمكن أن نقارن هذا الوضع وهذه المكانة بمكانة التصنيف عند اليونان وعند أوربا العصور الوسطى ، بل إن التصنيف لم يعترف له بالمكانة إلا فى القرن التاسع عشر فقط .

وقد لاحظنا أن العرب هم أول من وضع تأليفاً مستقلا فى التصنيف ، وأول من رتب الكتب على أصناف العلوم ، أى على الأقسام المعروفة للمعرفة البشرية ، وقد حدث هذا عند ابن النديم ، ثم وجدنا صاحب مفتاح السعادة يجعله علماً من العلوم ، مما يدل « على وضوح الموضوع فى ذهنه » كما قال جورجى زيدان فيما بعد . ثم نجد مؤلفنا قد فصل فى التقسيم فوصل بعدد العلوم إلى ثلاثمائة علم .

ولقد تعرف طاش كبرى زاده ، وهو فى هذا ناقل أمين لمنهج العرب ، على طريقتين لتكوين الأقسام :

١ ــ التدرج من العام إلى الخاص .

٢ ــ التدرج من الخاص إلى العام على عكس الطريقة السابقة .

ولقد تعرف علماء الكلام على الطريقتين ولكنهم سموهما بألفاظ أخرى :

١ ــ القسمة ، وهى التكثير من أعلى إلى أسفل .

٢ ــ والتحليل وهو عكسه ، أى التكثير من أسفل إلى أعلى .

وهاتان هما الطريقتان الموجودتان حتى الآن وهما بلغة العصر الحديث :

١ ــ الطريقة الاستدلالية ، أى الانتقال من العام إلى الخاص : البدء بتقسيم المعرفة إلى عدد من المجالات الرئيسية تسمى الأقسام الرئيسية ، ثم تقسيم كل منها إلى شعبة ، وكل شعبة إلى فروع ، ثم المباحث ، والأجزاء ، الخ . حتى نصل إلى أقصى غايتنا من التقسيم وهذه هى الطريقة التى اتبعتها خطط التصنيف التقليدية الحاصرة مثل « ديوى » و « بليس » .

٢ ــ الطريقة الاستقرائية ، أى البدء بجزئيات العلوم وضم بعضها إلى بعض حتى نصل إلى الأقسام فى النهاية ، أو الاكتفاء بمرحلة ما فى تكوين الأقسام دون الوصول إلى الأقسام الرئيسية بقدر الحاجة ، أو حتى تجاهل فكرة الأقسام الرئيسية تماماً .

وقد أدرك طاش كبرى زاده أن الطريقة الأولى أسهل وأيسر : وهذه النتيجة تؤيدها التجربة والعرف ، لأن الأسهل هو أن نبدأ من إطار عام متعارف عليه للمعرفة البشرية ثم نتدرج فى التقسيم . الأفضل هو أن نبدأ

من تعميمات توصلت إليها البشرية خلال قرون طويلة من التجربة فأضحت بذلك عميقة الجذور فى العقل البشرى ، وهى فوق ذلك مرتبطة بتوقعات القراء وبالنظرة الشاملة إلى المعرفة .

أما الطريقة الثانية فلم يشع استخدامها حتى الآن . والوحيد الذى ناهى بها حتى الآن وإن لم يجد صدى لآرائه هو « فرادان » عالم التصنيف البريطانى فى مجموعة مقالات له نشرت عام ١٩٥٠ / ١٩٥٢ [1] . وهى لا تصلح لخطط التصنيف العامة التى تتناول المعرفة بصفة عامة ثم تقسمها إلى أقسامها وفروعها. وربما صلحت لخطط التصنيف المتخصصة التى تتناول جزئية واحدة من المعرفة لا يهم فيها النظرة الشاملة .

هذه كلمة سريعة عن التصنيف عند العرب لم نقل فيها شيئاً ، وإنما هى مجرد إلماحة إلى إدراكهم لهذا العلم ونضجه عندهم ، وأن لهم تراثاً فى التصنيف لو عرفناه وفتشنا عنه ودرسناه وعرفنا الناس به لتغير تاريخ التصنيف الذى يكتب حتى الآن خلوا من أية كلمة عنهم وعن تراثهم .

ثانياً – نظرية التصنيف :

هى علم بناء خطط التصنيف ، أو المنهج الذى رسمه علماء التصنيف لكى تنشأ وتقام على أساسه خطط التصنيف . ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا إن هذا الجزء من دراسة التصنيف هو أهم الأجزاء جميعاً ، وهو الذى شغلت مناقشاته جانباً كبيراً من الإنتاج الفكرى للموضوع .

---

(1) Farradane, J. A. Scientific theory of classification and indexing and its practical applications. Jour. Doc. 6 (2), June 1950. pp. 83-99 ; A Scientific ...: Further considerations, Jour. Doc. 8 (2) June 1952, pp. 73-92.